مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ISSN : 2353-0472
المجلد5 ، العدد12، (ديسمبر2017) EISSN : 2600-6405

ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني

الأستاذ: رشيد مريخي
جامعة مولود معمري، تيزي وزو

ملخص:

جاءت دراستنا تحت عنوان: "ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، والتي نستعرض فيها؛ أهم المؤسسات التعليمية والثقافية مثل المدارس والمساجد والزوايا، وأيضا أهم المراكز الثقافية مثل مدينة الجزائر وتلمسان وقسنطينة، مع الإشارة إلى أهم العلماء في هذه الفترة ومؤلفاتهم، وأخيرا الآثار العمرانية والفنون.

Abstract :

Our study came under the title: "Features of Cultural Life in Algeria Late Ottoman Period" , Which we review; The most important educational and cultural institutions such as schools and mosques, And also The most important cultural centers such as Algiers, Tlemcen and Constantine, With reference To the most important scholars in this period and their writings,And finally the urban monuments and arts.

الكلمات المفتاحية: المساجد، الزوايا، العلماء، القصور.

مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، أواخر العهد العثماني ويبرز دور المؤسسات التعليمية التي كانت من العوامل الهامة التي

أثّرت في الحياة الثقافية، وأشهر أعلام العصر ومؤلفاتهم، كما يود البحث دراسة المباني والفنون التي تعود إلى تلك الفترة.

أولا:المؤسسات التعليمية:

من الناحية التاريخية فقد أجمع المؤرخون أنه كان عصرا مزدهرا بالثقافة والتعليم، فقد كان يقدر عدد المكاتب القرآنية في القطر الجزائري ثلاثة آلاف كتاب[1]قرآني أو "مسيد" في اللهجة الجزائرية، وكان عدد المتعلمين وقلة الأميين أكثر من فرنسا وهذا بشهادة بعضهم[2].

وبفضل أموال الأوقاف والزوايا انتشر التعليم في المدن والأرياف[3]، وكان التعليم في العهد العثماني شبه مستقل عن الدولة، ويخضع لمراقبة وتوجيهات نظار الأحباس، وهذا نظرا لكون نفقاته كانت تدفع من ريع الأوقاف[4].

كان التعليم في العهد العثماني بإيالة الجزائر يقدم في مراكز مختلفة، وكل واحد منها يقوم بوظيفته أحسن قيام حسبما تسمح به ظروف العصر، وهذه المراكز[5] هي:

1. كتاتيب القرآن:

الكتّاب أو المسيد هو تصغير لكلمة مسجد[6]، غالبا ما تكون في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين، والتي كانت هي الأخرى مكانا للمسامرة الأدبية ليلا، وفي المساجد تقام الصلوات الخمس[7]، وقد خصصت لحفظ القرآن[8]، وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب[9]، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم الخشبي، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في المساجد على مستوى القرى[10].

وكانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر، يسمى في الريف "الشريعة" لأنه تدرس به الشريعة أما في المدينة فيسمى "المسيد"[11]، وحسب الأستاذ بوعزيز فإنها أنشئت لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها[12]، وكانت هذه المؤسسات الدينية منتشرة في كامل البلاد[13].

2. الزوايا:

احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بالأرياف.لقد مثلت الزاوية المسجد والمدرسة في آن واحد[14]، ولأنها مؤسسة تعليمية تابعة للعبادة والتعليم فهي لا تختلف عن المساجد سوى لأن أغلبها كان بالريف[15].وتقوم الزوايا بتعليم مادة أساسية

وهي القرآن الكريم[16]، إضـــافة إلى الفقه والعقائد وقواعد النحو والصـــرف، وقانون البلاغة والحديث، مما أعطى الثقافة الجزائرية في هذه الفترة صبغة دينية[17].

لقد أحصـى "دوفو" DEVOULX في أواخر العهد العثماني اثنا عشـــر زاوية واثنتان وثلاثون ضريحا[18]، يضاف إليها زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سيدي عبد القادر الجيلاني[19].

وزوايا بلاد الزواوة نوعان وهي: زوايا حرة لا تنتمي إلى أي ولي أو طريقة كزاوية عبد الرحمن اليلولي، وزاوية تنسب إلى ولي فيكون بها ضريح في الغالب أو تنسب إلى طريقة من الطرق الصوفية كالرحمانية في جبال جرجرة[20].

أما مدينة قسنطينة فقد وجد بها ستة عشر زاوية، منها ما كان تابعا للعائلات الكبيرة مثل زاوية أولاد فكون وزاوية ابن نعمون وزاوية ابن جلول[21]، والزاوية "العزوزية" بضواحي بسكرة[22].

واشـــتهرت معســـكر بكثرة العلماء، وبرزت عدة زوايا ومدارس ومعاهد علمية ودينية كزاوية سحنون بن أحمد الحسني[23]، وزاوية القيطنة التي وصل عدد طلابها إلى أكثر من 500 طالب[24].

كما اشـــتهرت تلمســـان بزواياها التي بلغت أكثر من ثلاثين زاوية أشـــهرها زاوية عين الحوت[25]، والزاوية الموجودة في جبل بن راشـــد والتي كان لها دور رائد في العلم في الريف[26].

وفضلاً عما كانت تقوم به الزاوية من وظائف متعددة تحدثنا عن بعضها فإنها كانت كذلك مخازن للكتب، ومن أشـــهرها المكتبة التي بناها الباي مصـــطفى للحافظ أبو راس[27].

3.المساجد:

كانت المهد الأول للتعليم[28]، وأماكن لأداء الصلاة ولتحفيظ القرآن الكريم ومعالجة مشـــاكل الناس[29] وتدريس العلوم الشـــرعية والإنســـانية[30]. ويلاحظ أن أغلب المدن الجزائرية كانت تشمل مسجدا يطلق عليه اسم "الجامع الكبير" وهو الاسم الذي اشتهر به بين الناس إما لقدمه أو لسعته[31].

أما المســـاجد فكانت العناية بها واضحة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فلم تكن تجد حياً في المدينة إلاَّ وله مســـجد خاص به، وكان المســـجد ملتقى للعبادة،

ومكان اجتماع أعيان المدينة ومحور نشـــاط الحياة العلمية والاجتماعية. وكان يمثل روح الحي في المدينة، وحوله كانت تنتشر السّكنات والأسواق والكتاتيب[32].

ومن أشهر دور العبادة بمدينة الجزائر؛ مسجد كتشاوة، والجامع الأعظم، ومسجد الشواش، ومسجد السيدة الذي كان يقع مقابل دار الإمارة، وقد كان يخرج إليه الداي ورجال دولته لتأدية فريضة الصلاة[33]. واشتهرت بجاية بالجامع الكبير الذي أمر ببنائه مصطفى باشا سنة 1798م[34].

أما عنابة فحسب المؤرخ التونسي عثمان الكعاك فكان يوجد بها في آخر القرن الثامن عشر 37 جامعا أشهرها، جامع سيدي مروان الذي هو جامع رباط عنابة، وجامع الباي وهو الجامع الحنفي، وجامع الرمانات؛ إذ جرت العادة زرع رمانات بصحون الجوامع للظل والزيادة في الجمال[35].

أما قسنطينة التي زارها الحسين الورثلاني في القرن الثامن عشر، فقد ذكر أنه وجد بها خمسة جوامع خطبة[36].ومن أشهر مساجد بسكرة التي كانت تلقى فيها الدروس؛ مسجد سيدي عبد المومن بن مالك بباب الضرب، والمسجد الأعظم المعروف بحصن الترك[37].

ولإنعاش الحركة العلمية عين الباي مصطفى الحافظ أبو راس الناصر مسجدا بمعسكر بعد سنة 1802م، مزودا بمكتبة بها أكثر من ثلاثة آلاف مجلد وغرفة للمطالعة[38]. كما أعاد الداي مصطفى باشا بناء جامع سيدي علي مبارك ومنارته، وكذا الزاوية الموجودة في القليعة[39].

4. المدارس:

وهي أماكن مخصصة لإلقاء الدروس بها[40]، وقد عرف أبو راس الناصر المدرسة بقوله:((المدرسة المتعارف عندنا الآن وهي التي تبين لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه))[41]، والمواد التي كانت تدرس في المرحلة الأولى للصغار القراءة والكتابة والقرآن[42] ، ولما ينتقلون إلى المعاهد الكبرى يدرسون المواد التالية: الفقه، التفسير ويضم أيضا العقائد والأخلاق لتفسير القرآن والأحاديث، وعلم الحساب.

وكانت تلقى الدروس في المساجد الرسمية مثل المسجد الكبير بتلمسان، وفي الجزائر نجد هذا النوع من التعليم في زاوية القليعة وزاوية مليانة، وفي قسنطينة في مسجد سيدي لخضر[43].

وكان يوجد بالجزائر العاصمة عدد كبير نسبيا من المدارس، يبعث إليها الجزائريون أولادهم ليتعلموا القراءة و الكتابة[44]، ومنطقة زواوة اقتصر وجودها على مدينة بجاية فقط، وقد اشتهرت هذه المدينة بدورها العلمي والتعليمي، وقد تراوح عدد المعاهد التعليمية فيها بين مدارس وزوايا ومعمرات بين 35 و40[45]، وفي الغرب الجزائري اشتهرت مدرسة أبي طالب المازوني في كل أنحاء الوطن، ولا زالت تلك المدرسة تحتفظ بجزء من صحيح مسلم أهداه الباي عثمان للعالم الجليل[46].

5. المعمرات:

وهي شبيهة بالزوايا معدة لتعليم القرآن وحفظه ودراسة العلوم المختلفة، وكانت لهذه المعمرات أحباس هامة وقوانين داخلية، وهي تمتاز عن الزوايا بكون هذه الأخيرة تخضع في الغالب لتصرف شيخ الطريقة أو مقدميه، أما هذه المعاهد "المعمرات" فإنها تخضع لنظامها وقانونها الداخلي[47].

كان لها دور هام في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وتوسع قراءته في مختلف الماطق الريفية وبناء الأجيال المتعاقبة، ونجد من هذه معمرة الشرفة قرب العزازقة[48].

وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد، وهذه الصعوبة في تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات جميعا، راجعة إلى كونها توجد في مجتمع «يقوم التعليم فيه أساسا وقبل كل شيء على الدين»[49].

ولكن تنبغي الإشارة هنا إلى كون المجتمع الجزائري ظل طيلة العهد العثماني وعلى غرار كل المجتمعات الإسلامية التي كانت خاضعة للعثمانيين بعيداً عن الأفكار الأوروبية الحديثة في مجال التعليم[50]، وكانت الثقافة السائدة في الجزائر خلال العهد العثماني هي ثقافة البلاد الإسلامية، إذ كانت تتمحور حول العلوم الدينية، من تفسير وحديث وفقه وعقائد [51].

ثانيا:أشهر أعلام العصر ومؤلفاتهم:

- أعلام مدينة معسكر:

أنجبت مدينة معسكر وسهل غريس والوطن الراشدي علماء أجلاء وفقهاء ومحدثين، ومقرئين ومؤرخين، وكتاب سير، وشعراء ورحالة. وبرزت عائلات بحالها توارثت العلم، والوظائف العلمية كعائلة الخروبي وعائلة أبي راس الناصر.

كان لعلماء معسكر دور رائد في النهضة الفكرية والثقافية، وحركة التأليف،والتدريس والقضاء، والإفتاء والوعظ، والإرشاد الديني والثقافي والاجتماعي[52]، نذكر منهم على سبيل المثال أحمد بن سحنون الراشدي (توفي بعد عام 1211هـ/ 1796م)، نشأ بمعسكر، وترك خلافا لكتابه الذي اشتهر به وهو الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[53].

والشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن زرفة الدحاوي[54]، من أشهر مؤلفاته "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، و"الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء[55].

ومن أشهر علماء معسكر الشيخ أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر الجليلي المعسكري (ت1238هـ/1823م)، درس في الجزائر على الكثير من رجال العلم منهم الشيخ الحافظ محمد الصادق آفغول، وقاضي الجزائر محمد بن جدعون والمفتي أحمد بن عمار[56].

اشتغل بالتعليم وتولى القضاء ثم الإفتاء[57]. من أهم تآليف أبي راس الناصر في السير والتاريخ والأخبار والتاريخ الخاص والعام؛ درء الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة الشماريخ في علم التاريخ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية وشروحها، وعجائب الأسفار ولطائف الأخبار[58].

- أعلام مدينة وهران والغرب الجزائري: أنجبت وهران العديد من العلماء في شتى العلوم نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/1832م)، ويعتبر من ذوي المعرفة بالعلوم الفقهية والفنون الأدبية[59].

ينسب إلى الشيخ مسلم بن عبد القادر عدة تصانيف منها: "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر". وقد عرف بتأليف طريف في التاريخ بعنوان "خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر"، وقد ركز فيه على أخبار وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي(1192-1248هـ/1778-1832م[60].

ومن أشهر أعلام تلمسان أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني، تولى الكتابة لدى الباي محمد الكبير باي الغرب وأصبح من مقربيه ومستشاريه[61]، وله من المؤلفات "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري (1785م)[62].

والشـــيخ محمد بن علي أبو طالب المازوني من العلماء المشـــاهير ومن أعلام منطقة غليزان، من أعماله العلمية شرحه القصيدة (الصغرى) للشيخ السنوسي التلمساني[63].

- **أعلام مدينة الجزائر:** هذا وقد انتشـرت الحركة الثقافية منتآليف في شـتى العلوم، وازدهرت حلقات العلم بمدينة الجزائر، ومن العلماء الذين اشـتهرت بهم: علي بن عبد القادر بن الأمين (ت1236هـ/1821م)، كان من أعيان العلماء في عصره، درس بمسجد حســين ميزومورطو بالجزائر العاصــمة، ومن تلاميذه بمدينة الجزائر مصــطفى بن الكبابطي، ومن مؤلفاته: "إتحاف ذوي الألباب بفضل الخطاب "[64].

إضـافة إلى حمدان بن عثمان خوجة (ت1261هـــ/1845م) الذي ولد بمدينة الجزائر، من أسـرة حضـرية عريقة ذات ثروة وجاه، وكان أبوه فقيها مقربا من السـلطة الحاكمة بالجزائر.[65].كان حمدان خوجة على دراية بمســائل الأصــول وعلم الكلام والمنطق والتـاريخ والطـب، وأكســبتـه أســفـاره العـديـدة معرفـة أوليـة بـاللغتين الإنجليزيـة والفرنسية[66].

كتب حمدان خوجة العديد من الرسائل والمصنفات، من رسـائله أيضـا "تقاييد على كتـاب حمـدان خوجـة"[67]. على أن العمل الـذي يشــتهر بـه حمـدان خوجـة هو كتـاب "المرآة، والـذي يتـألف من ثلاثـة عشــر فصــلا، تنـاول فيـه مختلف أوضــاع الجزائر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية[68].

- **أعلام منطقـة زواوة:** كانـت منطقـة زواوة منـارة للعلم والمعرفـة، وازدهرت بـالعلوم خاصــة الدينية منها على أيدي العلماء، من أبرزهم الزواوي (ت1221هـــ/1806م) له "الوظيفة المحمدية لأهل الطريقة المعازية"[69].

والطيـب الزواوي (ت1251هـــ/ 183م) ، فقيـه مـالكي، نـاظم لـه "الـدرة المكنونـة" و"أرجوزة في عقائد التوحيد" و"تكملة الفوائد في تحرير العقائد"، و"مفتاح الأحكام"[70].

- **أعلام مـدينـة قســنطينـة والشــرق الجزائري:** من أشــهـر العلمـاء الـذين أنجبتهم قسـنطينة في هذا العصـر عبد الرحمن باش تارزي (ت1222هـــ/ 1807م)، وكان ممن جمع بين العلم والتصوف ومن مؤلفاته: "غنية المريد في شرح منظومة مسائل التوحيد" وهي 45 مسألة[71].

ومحمد الحفصـي القسـنطيني (ت1226هـــ/1811م)، فاضـل له مشـاركة في علم المنقول والمعقول، حافظ للحديث، له حاشـية على السـلم في المنطق، وله "تقاييد"[72].

والشيخ مصطفى العجمي (ت1240هـ/1824م) من كبار فقهاء المالكية، له "تكملة شرح الشنهوري"[73].

وأحمد بن سعيد العباس فقيه (ت1251هـ/1836م)، له مشاركة في علوم البلاغة والبيان وسير الرجال والمنطق والكلام من أهل قسنطينة، قال صاحب تعريف الخلف: ((أخذ عن الشيخ حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة وغيره، له تقاييد على صحيح مسلم وعدة مؤلفات[74].

- **أعلام الجنوب الجزائري:** من أواخر الأعلام لآخر القرن الثاني عشر والثالث عشر في مدينة بسكرة قاعدة الزيبان والواحات؛ الشيخ محمد بن خمار، والشيخ الطاهر دالي علي[75].

ويوسف بن عدون (ت1223هـ/ 1808م) من دعاة الإصلاح في وادي ميزاب بالجزائر، من كتبه "حاشية على البيضاوي" و"أرجوزة في أسرار الشريعة" في بضعة آلاف بيت[76].كذلك العالم الجليل ابراهيم بن بيحمان (ت1232هـ/1817م)،من بني يزقن،كان مؤلفا وشاعرا جليلا، وعالما حكيما وأديبا فيلسوفا ورحالة، من مؤلفاته: "مختصر المناسك ومهذب المسالك" و"الجواهر الثمينة"[77].

وأسهم إقليم توات في أدب الرحلات مساهمة واضحة، ولاسيما في القرن الثامن عشر. ومن أشهر الرحلات في هذا العصر رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني إلى الديار (**ت أوائل القرن الثالث عشر**)[78]، تحدث في رحلته عن المكوس والضرائب التي كانت تفرض على أهالي المنطقة[79].

ورحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس التنلاني (ت1233هـ/1818م)، له رحلة إلى الجزائر العاصمة (1231هـ/1816م)، زار فيها مدينة الجزائر[80].

ثالثا:الفن والعمران:

1- أهمية المباني التاريخية: تمثل المباني التاريخية العائدة إلى الفترة العثمانية رصيدا تاريخيا وأثريا وحضاريا هاما لا يستغني عنه أي باحث في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، وموضوعا ثريا للدراسة والبحث والتحليل والإثراء[81].

كانت المباني الدينية تحظى باهتمام الحكام وكبار التجار والطبقة الغنية، فخصصوا أموالا طائلة لإنشائها والصرف عليها.وقدر عدد المباني الدينية قبل الاحتلال الفرنسي

(1830م) بأكثر من مائة وخمسين مبنى في الجزائر العاصمة وحدها، منها مائة وتسعة مساجد وثلاثة عشر مسجدا واثنتا عشر زاوية[82].

هذا ويمكن أن نلاحظ نوعا من المساجد يستخدم القبة وعدده وفير في الجزائر، ونموذج القبة المثمنة قد طبق أيضا في عام 1696م في المقام ذي الطراز الإسباني المغربي حيث دفن سيدي عبد الرحمن حاكم المدينة، وعدا هذا فإن مسجد القصبة 1819موقد تحول الآن إلى متحف، وجامع سفير الذي أعيد بناؤه عام 1826م، ونرى في بناء الجامع الكبير في وهران وجامع لالا رويا في تلمسان، أن هذا الأسلوب الشرقي يتجلى بأشكال أخرى.

على أن تأثير العثمانيين يتضح في مدينة الجزائر عن طريق عنصر يسهم في إعطاء هذه المدينة طابعا شرقيا، هذا العنصر هو المئذنة. وفي الواقع استمرت مدينة الجزائر في بناء الأبراج المربعة المطابقة للتقليد الأندلسي- المغربي، ولكنها شهدت أيضا إقامة أبراج مضلعة.وفي قسنطينة نرى هذا النمط الشرقي قد انتقل عن طريق تونس في مدرسة سيدي الكتاني (1775م)[83].

وبجانب المساجد شهدت الجزائر في العهد التركي اهتماما كبيرا بتشييد التحصينات العسكرية والقصور والمنازل والحمامات والعيون العمومية وقناطر المياه، وبنيت القصور بداخل المدينة ويقدر عددها حاليا بأكثر من خمسة عشر قصرا، كما بنيت بالضواحي والأحراش قصور خاصة بالحكام وكبار الشخصيات والأمراء والأغنياء، وما يزال عدد كبير منها قائما حتى الآن[84].

2- قصور مدينة الجزائر:

ومعظم القصور الحالية ترجع إلى أواخر القرن 18م، حيث شهدت الجزائر خلاله استقرارا سياسيا ورخاءا اقتصاديا. وأهم هذه القصور التي مازالت باقية حتى الآن على سبيل المثال في الجزائر العاصمة قصر مصطفى باشا الذي بناه هذا الأخير سنة 1798م، وكان يقيم به أيام الخميس، ويغادره أيام الجمعة مساءا إلى دار السلطنة في القصبة العليا (قصر الداي)[85].

وقد بنى الداي مصطفى باشا قصرا ما بين سنتي 1799 و1800م، وهو يقع في القصبة السفلى بالقرب من جامع كتشاوة، وقد تحول هذا القصر إلى مكتبة وطنية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م[86]، كذلك دار عزيزة التي بناها على الأرض التي اكتسبها من قصره المذكور أعلاه، وأهدى هذا القصر إلى ابنته وهي زوجة باي

قسنطينة[87]، وكان القصر يمثل جزءا من الجنينة كان يستعمل لإقامة كبار الضيوف الذين كانوا يقدمون على الداي، وقد حول القصر بعد الاحتلال إلى أسقفية، وأعدت كنيسة صغيرة على الطابق الأول منه.

والدار الحمراء الموجودة بالقصبة السفلى التي بنيت حوالي سنة 1800م، وقد شوه الاحتلال الفرنسي بواجهة جديدة على الطريقة الأوروبية بعد هدم القبة سنة 1870م والتي كانت تغطي الشارع، ورغم هذا حافظ القصر داخله على بعض الرونق بخشبه المنقوش وجمال زخرفة الأسقف.

هذا بالإضافة إلى القصور الواقعة خارج مدينة القصبة مثل دار مصطفى باشا الواقعة إلى الجنوب من قصر الشعب، التي بنيت بأمر مصطفى باشا داي الجزائر في الفترة (1798- 1805م)[88]، وقد حول هذا القصر سنة 1848م إلى ميتم "سان فنسان دوبولSaint vincent de Paule".

وبالقرب من دار مصطفى باشا توجد دار مصطفى رايس التي شيدها رايس البحرية، ودار المفتي الواقعة وراء دار مصطفى رايس التي شيدت سنة 1692م، ودار يوسف التي تقع وراء متحف العصور القديمة، وكانت تسمى في عهد الأتراك "جنان الخياط"، وكانت في الأصل ملكا للسيدة خديجة العمياء ابنة حسن باشا (1791- 1997م)، ثم أصبحت تابعة سنة 1814م للأوقاف، وفي عام 1945م بيعت للمغامر اليهودي يوسف كمكافأة التي قدمها للجيش الفرنسي أثناء الاحتلال.

ودار الآغا بحيدرة التي بنيت سنة 1799م،وكانت آنذاك ملكا ليحي آغا، وتستعملها اليوم مصالح سفارة فرنسا. ودار عبد اللطيف الواقعة قرب حديقة التجارب على سفوح الحامة، وكانت في البداية ملكا للآغا، وقد اشتراها سنة 1795م عبد اللطيف ثم تحولت بعد الاحتلال الفرنسي إلى مستشفى للفيف الأجنبي، ولا تزال هذه القصور إلى يومنا هذا تحتفظ بزخارفها البديعة ومرمرها وفخارها القديم[89].

وكانت أغلب تلك المباني مزينة ببلاطات ولوحات بلاطات الزليج التي انتجتها معامل القلالين بمدينة نابل التونسية[90]، وقد استخدمت نفس الأمثلة في زخرفة معظم المباني الدينية والمدنية، إذ نجدها في قصر "باردو" وقصر الداي ودار أحمد وقصر حسن باشا ومصطفى باشا، وجميع المباني التي ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر[91].

وتتميز بلاطات الزليج من النوع الأوروبي المستخدمة في زخرفة مباني الجزائر التي ترجع إلى العصر التركي بالاختلاف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث أساليب الصناعة والزخرفة، كما تختلف مع بلاطات النوعين الأول والثاني،وتوجد كمية ضخمة من هذه البلاطات، ويتكرر استخدامها من قصر إلى آخر، ويمكن اعتبار قصر مصطفى باشا وحسن باشا من أهم القصور المتضمنة لهذه البلاطات، ويتضمن قصر مصطفى باشا (1798م) نفس الأمثلة من بلاطات المجموعة الأولى[92].

ويمكن تقسيم المجموعة إلى عدة أمثلة حيث تصميماتها وعناصرها الزخرفية، وقد استخدمت هذه اللوحات من بلاطات زليج - تتكون من اثني عشر بلاطة - في كسو الجدران السقيفة الدخول، كما توجد أمثلة منها في أماكن مختلفة في قصر حسن باشا(1791) ودار أحمد(1800)، ودار عبد اللطيف(1799)، وفي قصر الباردو(نهاية القرن18م)[93].

هذا وقد زخرفت حوائط متعددة في قصر مصطفى باشا نماذج من بلاطات الزليج، تتميز بنفس الخصائص الصناعية والفنية والألوان في الأمثلة التي تعرضنا لها في هذا القسم، إذ نجد ذلك في حوائط السقيفة الثانية المؤدية إلى الصحن وفي الحوائط الخارجية للغرف المشرفة عليه[94].

وكانت هناك مشاريع معمارية قد تمت لأسباب سياسية، والهدف منها رفع شأن الباي أو المؤسس في أعين الناس، ومن هؤلاء الوجهاء والأمراء، وفي بعض الأحيان تكون هذه المشاريع الاقتصادية مرتبطة معماريا مع البناء الديني والنفعي وتكمله[95].

على أن أبرز الفنون التي برع فيها وشجعها الأتراك العثمانيون هي فن الخزف، من تذهيب المخطوطات وصناعة السجاد وزخرفته وفن الكتابة والخط الذي يبلغ غاية في الإتقان الشديد والتنوع والإبداع[96].

خاتمة:

- إن معارف الجزائر خلال هذه الفترة غلب عليها طابع العلوم الدينية، وأن علمائها احتلوا مكانة مميزة في المجتمع رغم أنهم لم يشكلوا فيما بينهم فئة اجتماعية متلاحمة.

- لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في نشر العلم والمعرفة، وارتكز التعليم على الجانب الديني.

- إن عدم اهتمام الدولة بقطاع التعليم ووضعها لسياسة تعليمية خاصة وتوحيد جهود المتعلمين،كانت كلها عوامل أثرت سلبا على المستوى التعليمي.

- إن وضع الثقافة في الجزائر لم يكن يختلف كثيرا مما كان سائدا في العالم العربي والإسلامي، والدليل على ذلك أن العلماء الجزائريين كانوا يتمتعون بسمعة طيبة، وقد سمحت غزارة علمهم بفرض وجودهم في الحواضر الثقافية العربية والإسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر الفقيه ابن العنابي .

- كانت مدينة الجزائر كنموذج مسرحا للتزاوج الحضاري بين العثمانيين و الأندلسيين طيلة الفترة، حيث امتزجت في المدينة عدة طرز معمارية انعكست في أنماط المساجد.

الإحالات:

(1) اسكندر(محمد المختار)، المدية بين القديم والحديث، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص43.

(2) نفسه، ص44.

(3) عمورة (عمار)، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الى 1962 الجزائر عامة، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2006، ص258.

(4) نفسه، ص259.

(5) سي يوسف (محمد)، ، نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، ط1 ، **منشورات الدراسات والبحوث المورسكية والتوثيق والمعلومات**، تونس، 1990، ص193.

(6) بونار (رابح)، "الذكرى الألفية لتأسيس مدرسة الجزائر"، **الأصالة**، عدد 8، 1972، ص74.

(7) الجزائري (محمد بن ميمون)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص58.

(8) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص193.

(9)BOYER (PIERRE), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française,Imp national, MONACO, 1964, p199.

(10) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص193.

(11) مسعود (العيد)، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة **سرتا**، العدد رقم 3، 1980، ص.ص.62.61.

(12) بوعزيز(يحي)، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 و20"، مجلة **الثقافة**، عدد 63، 1981، ص15.

(13)TURIN (Y), Affrontement culturels dans l'Algerie en colonial(1830-1880), F.MASPENO, Paris, 1971, p127.

(14)EMERIT (MARCEL), "L'Etat intelectuel et moral de l'Algerie en 1830", in **R.T.S.M.P**, 2 éme semestre 1954, p10.

(15) حساني (المختار)، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الغرب، دار الحكمة، الجزائر، ج4، 2007، ص225.

(16) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص205.

(17) EMERIT (MARCEL), OP. CIT, p200.

(18) DEVOULX (ALBERT), Les édifices relégieux de l'ancien Alger, BASTIDE, Alger, 1870, p03.

(19) سعد الله (أبو القاسم)، ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ج1، ط2، م، و، ك، الجزائر، 1985.ص،ص.269.268.

(20) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص.ص.197.195.

(21) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص264.

(22) **انظر:** ترجمته في الرحلة الورثلانية.

(23) بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1 دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، 1995،ص284.

(24) حساني (مختار)، المرجع السابق، ص224.

(25) الناصري (أبو راس)، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص284.

(26) الناصري (أبو راس)، عجائب الأسفار ولطائف الاخبار، مخطوط رقم 1632، المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة ص105.

(27) نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر، ط1، منشورات المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص146.

(28)ENCYCLOPEDIE de l'islam, t5, p400.

(29) بوعزيز (يحي)، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 و 20، **الثقافة**، عدد 3 ، 1981، ص12.

(30) حساني (مختار)، المرجع السابق، ص223.

(31) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص231.

(32) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص-ص.244-245.

(33) الزهار(أحمد الشريف)، مذكرات، نشر وتحقيق احمد توفيق المدني، الجزائر، 1974م ص.ص.81.80. وأيضا: - أ رشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم 3205، ملف 2، الوثيقة رقم 17.

(34) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص248.

(35) الكعاك (عثمان)، "عنابة قبل الإسلام"، **الأصالة**، عدد 35/34، مطبعة البعث قسنطينة، 1976، ص.ص.57.56.

(36) الورثلاني (الحسين)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974، ص685.

(37) صيد (عبد الحليم)، أبحاث في تاريخ بسكرة، ط1، مطبعة سوف، الوادي، 2000، ص47.

(38) نويهض (عادل)، المرجع السابق، ص146.

(39) الزهار (أحمد الشريف)، سبق ذكره، ص83.

(40) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص193.

(41) الناصر (أبو راس)، المصدر السابق، ص91.

(42) سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، ش و ن ت، الجزائر، 1988، ص163.

(43)EMERIT (MARCEL), OP. CIT, p205.

(44) أليسور (و.ويلد)، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد جيجلي، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص39.

(45) سي يوسف (محمد)، المرجع السابق، ص193.

(46) مفلاح (محمد)، أعلام منطقة غيليزان تراجم منذ القدم إلى غاية القرن التاسع عشر، دار هومة، 2006، ص78.

(47) البوعبدلي (المهدي)، "الرباط والفداء في وهران والقبائل"، **الأصالة**، صادرة عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 13، 1973، ص26.

(48) مريوش (أحمد) وآخرون، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ول نوفمبر1954**، الجزائر، 2007، ص21.

(49) سعد الله (ابو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص-ص.223-280.

(50) سعد الله (ابو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، سبق ذكره، ص159.

(51) سعيدوني والبوعبدلي، الجزائر في العهد العثماني، ج3، م و ك، الجزائر 1984، ص137.

(52) بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة، سبق ذكره، ص.ص230-225.

(53) سعيدوني (ناصر الدين)، . من التراث الثقافي التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1999 ، ص-ص.439-443

(54) نسبة إلى قرية بدائرة الأخضرية. أنظر:

- شارف (رقية)، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007، ص.ص.12-71.

(55) بوعزيز(يحي)، أعلام الفكر والثقافة، سبق ذكره، ص233.

(56) الصديق (محمد الصالح)، أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزء 1، 2000، ص13.- حول حياة أبي راس الذاتية والعلمية، أنظر: محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه محمد بن عبد الكريم الجزائري، تقديم د.أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص21 ومابعدها.

(57) سعيدوني(ناصر الدين)، من التراث التاريخي والثقافي، سبق ذكره، ص460.

(58) نفسه، ص.ص.462.461.

(59) سعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي، سبق ذكره، ص470.

(60) نفسه، صص.471.470.

(61) نفسه، ص448.

(62) ابن هطال (أحمد)، رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص.ص.14.13.

(63) ابن سحنون (أحمد)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص78.

(64) نويهض (عادل)، المرجع السابق، ص115.

(65) سعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي، سبق ذكره، ص487.

(66) نفسه، ص488.

(67) نفسه، ص490.

(68) نفسه، ص.ص.492.491.

(69) نويهض (عادل)، المرجع السابق، ص152.

(70) المرجع نفسه، ص24.

(71) المدني (أحمد توفيق)، محمد بن عثمان باشا داي، سبق ذكره، ص71.

(72) نويهض (عادل) ، المرجع السابق، ص150.

(73) نفسه، ص.ص.206.123.

(74) نفسه، ص24.

(75) صيد (عبد الحليم) ، المرجع السابق، ص46.

(76) الزركلي (خير الدين)، ترتيب الأعلام على الأعوام، رتبه وعلق عليه زهير ظاظا، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج2، د.ت، ص663.

(77) بن بكير (يوسف)، تاريخ بني ميزاب، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 2006، ص110.

(78) كروم (عبد الله) ، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص91.

(79) نفسه، ص92.

(80) نفسه، ص64.

(81) نور الدين (عبد القادر)، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص117.

(82) لعرج (عبد العزيز محمود)، الزليج في العمارة السلامية بالجزائر في العصر التركي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص17.

(83) البهنسي (عفيف)، الفن الإسلامي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1986، ص249.

(84) لعرج (عبد العزيز) ، المرجع السابق، ص17.

(85) نفسه، ص73.

(86) عمورة (عمار)، المرجع السابق، ص265.

(87) نور الدين (عبد القادر)، المرجع السابق، ص118.

(88) عمورة (عمار)، المرجع السابق، ص265.

(89) نفسه، ص266.

(90) لعرج (عبد العزيز)، مرجع سبق ذكره، ص65.

(91) نفسه، ص66.

(92) نفسه، ص121.

(93) نفسه، ص148.

(94) نفسه، ص159.

(95) ريمون (أندريه)، الإمبراطورية العثمانية والعواصم العربية، مكتبة النهضة، لبنان، دت، ص51.

(96) شاكر (مصطفى)، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، 1993، ص1592.